الرسالة الثالثة

عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:

«اللهم مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» (١).

إن المتدبر لأدعية الرسول - ﷺ - يدرك بيقين أن كل دعاء منها معجزة من معجزاته - ﷺ - ودليل من دلائل نبوته ومن أدعيته -ﷺ- حين مواجهة الأعداء وفي شدائد الأحوال: **«اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب (سريع الحساب) اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم»**

أول ما توسل به - ﷺ - في هذا الدعاء من أسمائه الحسنى: «اللهم منزل الكتاب»، فهذه المعركة بين المؤمنين والكفار إنما هي بسبب إقامة الشرع الذي أنزله الله

(١) رواه البخاري.

في الكتاب فهو الذي أنزل الكتاب ليقوم الناس بالقسط وليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه، والكفار وأعداء الإسلام لا يريدون أن يحكم القرآن بين الناس ولا أن تقام الشريعة ولهذا قامت المعركة فيفصل فيها منزل الكتاب ويقضي هو في هذه الخصومة وهو سبحانه قد حكم فيها في نهاية الأمر بانتصار أهل الإسلام ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١] ولكن لا يلزم لجيل معين ولا لأفراد معينين أن يقع هذا النصر على أيديهم بل ربما يُقتل الرسول وبعض أتباعه ﴿ **فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٧] ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ .

[آل عمران: ١٤٦].

ولذا فعليهم أن تتعلق قلوبهم بالنصر يوم يقوم الأشهاد، الوعد حاصل للجملة والمجموع، والأفراد يأخذون حقهم وافيًا كاملاً يوم القيامة وبعضهم يدركه في الدنيا والمهم أن

نكون لبنات من البناء وخطوات على الطريق ولتتعلق قلوبنا بقوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وبقوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٧-٥٠] فلا ننتظر الفصل في المعركة في دنيانا وحياتنا وإن كنا جازمين بأنها لا بد أن تنتهي بالنصر لنا أو لبعضنا أو لأبنائنا أو لأحفادنا .

فمن أبنائنا وأحفادنا من سيكونون مع المهدي ومع المسيح - عليه السلام - يقتلون كفرة أهل الكتاب من النصارى واليهود في الملاحم الكبرى وقبل ذلك لا تزال طائفة من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة وهذا يقين لا شك فيه مهما كانت الأسباب الظاهرة تخالفه وقد تنتهي حياتنا قبل أن

نراه ولكن الفصل التام وآداء الحقوق إلى أهلها هو في يوم الفصل، اليوم الذي أجلت له الرسل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾.

[المرسلات: ١١، ١٣].

ثم التوسل الثاني الذي توسل به النبي - ﷺ - في دعائه: «**ومجري السحاب**» فنظر العبد إلى الأرض كثيراً ما يجعله يظن أن الملك فيها لأهلها وأنهم قادرون عليها وغالبًا ما يكون السلطان فيها للكفرة والظلمة فأكثر الناس يغرهم تقلب الذين كفروا في البلاد ويرون قوتهم وأسلحتهم وعتادهم فيقولون: لا نستطيع أن نقف في وجوههم فيتبعونهم ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا ويحاربون الحق مع أهل الباطل لينالوا نصيبًا من عطائهم فكيف نتخلص من هذه النظرة الضيقة غير الحقيقية ؟ .

ارفع بصرك إلى السماء ترى ملكوت السماوات لله فترى أيضًا ملكوت الأرض لله فتكون من الموقنين كما كان إبراهيم - عليه السلام - ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]

إن نظرة إلى السحاب مَنْ يجريه ؟ .

ومَن يجعل الشمس تأتي من المشرق وتذهب إلى المغرب؟، ومَن يملك الأمر في السماوات بنجومها وكواكبها؟، والكرة الأرضية كذَرة في هذا الكون الفسيح، فكيف يظن عاقل أن الكفار يملكون شيئًا ؟!

ثم انزل إلى الأرض هل هم ثبتوها فلم تتزلزل ؟، كيف تقع الزلازل والأعاصير والعواصف والفيضانات ؟ هل يملك أحد في الأرض شيئًا من ذلك ؟ قطعًا لا، وهذه الأمور تصيبهم أمام أعيننا كل يوم فلا يملكون لها دفعًا وإن كانت لا تستأصلهم إلا إذا شاء الله كقوم نوح وعاد وثمود، لإرادة الله في اختبارنا واختبارهم فهو قادر سبحانه أن يخسف بهم الأرض فتبتلعهم، قادر أن يرسل عليهم حاصبًا من السماء كأصحاب الفيل فيقتلهم، قادر أن يأمر البحار فتغرقهم ولكنه حليم عليم وكيده متين، ﴿ **فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾**

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

ثم نظرة أخرى لنوقن أن الموازين ليست بأيدي الناس، هل أنفس الكفرة والظلمة، بل والمؤمنين بأيديهم؟ هل نبض القلوب باختيار أحد؟ هل يملك السمع والبصر أحد؟ لو كان كذلك لما مات إنسان ولا مرض ولا ذهب سمع ولا بصر.

إن الدم يجري في عروق الظلمة بقدرة الله وأمره لا بأيديهم ولا بأيدينا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] وهذه والله حقيقة يقينية عقلية وليست فقط نقلية فلا يملك من البشر أحد موتًا ولا حياة ولا نشورًا، إذن ارتفع ببصرك إلى السماء لتتخلص من أسر التفكير الضيق بأن أهل الأرض يملكونها ويملكون القوة فيها، إنه امتحان يساعدك على النجاح فيه أن تعلم أن الله هو الذي أجرى السحاب وله ملكوت السماوات والأرض وهو إذن سبحانه الملك الحق الذي يفصل في هذه المعركة

ويقضي في هذه الخصومة بين أوليائه وأعدائه فاللهم مجري السحاب اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم .

ثم التوسل الثالث في هذا الدعاء: «وهازم الأحزاب»،

والأحزاب كل من تحزب وتجمع لقتال الأنبياء والأولياء: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ [غافر: ٥]، ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ** ﴾ [ص: ١٢، ١٣]، وفي كل زمان أحزاب يتحزبون ويجتمعون لحرب الدين ولقد كان يوم الأحزاب في سيرة رسول الله - ﷺ - من أيام الله التي أظهر فيها قدرته وجعل التوسل بفعله سبحانه في هذا اليوم من أسباب نُصرة المؤمنين في كل زمان ومكان وما أشبه تجمع الأمم على المسلمين اليوم بهذا اليوم، وإن كان الكفار اليوم قد يئسوا من ديننا وهذا من معجزات القرآن أيضًا فيوم أنزل الله سبحانه: ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن**

دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٣] من يومها والكفرة لا يأملون في اجتثاث الإسلام كما كانوا يأملون ذلك قبل نزولها في يوم عرفة سنة عشر من الهجرة ففي يوم الأحزاب كانت الحرب على «لا إله إلا الله» المطلوب أن يتركها المسلمون ويعودوا إلى الشرك .

أما اليوم فرغم شدة الحرب في الأرض كلها وشدة المطاردة والاضطهاد حتى لكأن بلاد الأرض كلها لا يجد فيها المسلمون مأوى آمنًا فيها إلا شعف الجبال ومع ذلك فالكفار لا يستطيعون أن يقولوا للمسلمين اتركوا «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بل يتدثرون بأنهم لا يحاربون الدين ولا يريدون أن يترك المسلمون دينهم، مع أن هذه حقيقة المسألة وحقيقة الصراع وهدف المعركة لكنهم لعلمهم بأنهم لو قالوا ذلك لهاج عليهم المسلمون بما لا طاقة لهم به فالإسلام يفجر في الأمة طاقات لو خرجت ما قامت لها الدنيا بأسرها، ولذا هم حريصون أن يظل الإسلام خارج المعركة، تكون قومية لا مانع وطنية لا مانع حزبية قبلية لا

مانع عرقية لا مانع أما دينية فلا وألف لا ولو بتفاوت هائل في القوة، إنهم يقطعون بأنهم لا ينتصرون إلا بالمنافقين والخائنين .

إن ما حدث في العراق سيثبت التاريخ أن من ورائه خيانة وبيعًا مثلما وقع بالأمس في كابل، إذ كان بشعار لا حقيقة له في الواقع والتطبيق وهو التكبير الذي لو كان حقًا يقوله الجنود والقادة لطبقوه في حياتهم فكبروا أمر الله ونهيه وعظموا شرعه وطبقوه وملأوا قلوبهم بحبه وجوارحهم بامتثال أمره ولتابوا إلى الله من البعثية والاشتراكية والحزبية وهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك، ومع ذلك بمجرد نطق الألسنة به صمدت بلاد هي في وجهة النظر العسكرية كقرى صغيرة، وكانت شبه منزوعة السلاح صمدت ثلاثة أسابيع ما سيطروا عليها رغم كل القوة الهائلة، هم والله أجبن من أن يقاتلوا أهل الإسلام

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٢٢] فكيف ينهار كل شيء في

لحظة إلا بخيانات المنافقين .

إن معركة الإسلام لن يقوم بها إلا أهل الإسلام الذين تربوا التربية الإيمانية الخاصة الخالصة على الإيمان والإسلام والإحسان وتحقيق العبودية لله في السراء والضراء والمنشط والمكره، أقول كل هذا من دلائل أن الكفار يائسون من الإسلام لأنه مازال يُفَجِّر الطاقات الهائلة في الأمة ويجعل الناس يبيعون الحياة ويشترون الموت في سبيل الله لا العكس، ولهذا يحاولون أن يقولوا الحرب ليست دينية ويروج المنافقون والزنادقة لهم بذلك والله المستعان .

والمسلمون يوم الأحزاب كانوا في مساحة من الأرض هي مقدار مساحة مسجد النبي - ﷺ - الآن، التي تمتليء عن آخرها وزيادة في المواسم بالمسلمين المصلين بلا موضع لقدم، وكان الإسلام في الأرض كلها هو هذه البقعة والمطلوب اجتثاث الإسلام نفسه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٩] هي

نعمة ليست فقط على الصحابة بل علينا كذلك نذكرها لأننا مسلمون الآن، بفضل الله أن هزم الأحزاب وحده فتحولت الموازين وصرنا كما قال رسول الله - ﷺ - عند رحيل الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**»(١) وقد كان، قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ [الأحزاب: ١٠] فعسكر أكبر جيش من العرب المشركين عشرة آلاف شمال شرق المدينة وكان يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد وخانوا ونكثوا كعادتهم جنوب المدينة، وصار المسلمون وكان عددهم في أول الأمر ثلاثة آلاف وصلوا في يوم رحيل الأحزاب إلى ثلاثمائة فقط مع رسول الله - ﷺ - صاروا بين فكي كماشة كما يقولون، المشركون يريدون أن يُخدموا نسائهم، أصحاب رسول الله - ﷺ - وأولادهم، يريدون قتل الرسول والصحابة وسبي النساء والذرية وانتهاك الحرمات والأعراض ما أعظم الخطر، وما أشد تباين القوة .

نحن الآن علمنا نهاية المعركة لكن ضع نفسك في

---

(١) **حديث صحيح**، رواه البخاري .

معمعتها وتصور أنك بالمدينة ساعتئذ في تلك اللحظات العصيبة والنتائج غير معلومة: ﴿ **وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ** ﴾ [الأحزاب: ١٠] خوفًا وهلعًا: ﴿ **وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ** ﴾ [الأحزاب: ١٠] من شدة النبض حتى لتكاد تصل إلى الحنجرة: ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ﴾ [الأحزاب: ١٠] ظنون كثيرة حتى من المؤمنين أنفسهم كانت هناك خواطر ووساوس متفاوتة ماذا يصنع الله بنا ؟.

هل تكون نهايتنا مثلاً كنهاية أصحاب الأخدود ؟، يوسوس الشيطان كما يوسوس لكثير من الناس اليوم بأنها نهاية المطاف وأن الباطل سيظهر والإسلام سيضمحل مع أنَّ نهاية قصة أصحاب الأخدود كانت أيضًا ظهور الحق وإن قُتل المؤمنون وحُرِّقوا: ﴿ **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾ [الأحزاب: ١١] إنها مرحلة مهمة لتمحيص المؤمنين، لتسقط الأوراق الجافة من الشجرة، الأوراق التي ماتت ولا نفع فيها حتى تستعيد الشجرة نضارتها وحيويتها، الناس اليوم لا يطلب منهم إلا أن

يتركوا الإلتزام ببعض مظاهر الدين لا بأصله، لا يقال لهم اتركوا الشهادتين ولا الصلاة والزكاة ولا صوم رمضان ولا الحج وإنما يطلب منهم أن يتركوا تطبيق الإسلام في حياتهم وأن يعيشوا من أجله ومع ذلك فالوساوس في نفوس الناس ما أكثرها، كيف يترك الله هؤلاء الكفرة يعيشون في الأرض فساداً ويقتلون ويهدمون ويخربون وفي النهاية ينتصرون ؟ نعوذ بالله من الضلال .

إن الأحداث اليوم لتثبت كم هم ضعفاء في الحقيقة لمن تأمل ومع ذلك فكثير من الناس سوف يضل فكيف بيوم الأحزاب؟، وكيف بظنون المنافقين ومرضى القلوب: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ [الأحزاب: ١٢] في حفر الخندق ضرب رسول الله – ﷺ – صخرة كئوداً فكسرها وبشرهم بملك كنوز كسرى، وضرب ضربة أخرى فبشرهم بملك قيصر فقال المنافقون: محمد يعدنا أن نملك كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته (أي الخلاء)

ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، كما يقول القائلون اليوم: أحلام التمكين وأوهام عودة الخلافة وخرافة المهدي.

أليس قد قال قائلهم أن حضارة الغرب حضارة لن تبيد فهذا زمن موت الإله ومولد السوبر مان، نعوذ بالله من الكفر، فها هي حضارتهم انهارت مبادئها بالكلية أذابت الشمس أصنامهم الثلجية فضاعت الحرية وسقطت حقوق الإنسان وأكلوا صنم العجوة: (الشرعية الدولية) واتسعت بطونهم لبلع الحقائق فصار العالم كله يعلم أنهم أكذب وأفجر وأظلم أنهم المتجبرين الطغاة في هذا الزمان، ومع ذلك فهناك من يقول من مَن في قلوبهم مرض: ﴿ **مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ مضى عهد التدين وهذا زمن الطاعة العمياء للغرب الحاقد نعوذ بالله، ونسأله أن يعيذنا من الفتن.

﴿ **وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا** ﴾ [الأحزاب: ١٣] تخاطب طائفة من المنافقين أهل المدينة بالاسم القديم (يثرب)، وقد تُرك هذا الاسم لما

وصل إليها رسول الله - ﷺ - وتنورت بمقدمه فصارت المدينة ولكنهم يستعملون الاسم القديم إشارة إلى أن الأوضاع ستعود إلى ما كانت عليه في الجاهلية جاء الإسلام مؤقتًا وسيزول وسيضمحل وترجع الأمور إلى ما كانت عليه، الصحوة جاءت وستذهب، لا مقام لكم فارجعوا لا مقام لكم مع الرسول - ﷺ - فارجعوا إلى بيوتكم، كما يقول القائلون : لا مقام لكم في الإلتزام فارجعوا إلى بيوتكم ودنياكم فاهتموا بها، ربوا عيالكم ابحثوا عن مصالحكم دعوكم من قضية الدين والتدين وأقصاها أن تكون في نفسك لا دخل لك بقضية نصرة الإسلام، اللهم نسألك العافية .

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] أي مكشوفة للأعداء: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣] كذبوا في قولهم لأن المدينة كلها سواء في التعرض للمخاطر المدينة كلها لو انكشفت لما صار هناك فرق بين بيت وبيت وإنما المسألة أنهم: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ

فراراً ﴾ [الأحزاب: ١٣] إنه الخوف والهلع والرغبة في الحفاظ على الدنيا، اللهم إنا نستغيث بك ونعوذ بعزتك أن تضلنا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون: ﴿ **ولوْ دُخلتْ عليْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا** ﴾ [الأحزاب: ١٤] أي لو دخلت عليهم المدينة من نواحيها: ﴿ **ثُمَّ سُئلُوا الْفِتْنَةَ** ﴾ [الأحزاب: ١٤] أي طُلب منهم الشرك: ﴿ **لآتوْهَا ومَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً** ﴾ [الأحزاب: ١٤] وما توقفوا عن إعطاء الشرك إلا تلبثًا وتوقفًا يسيراً .

دل ذلك على أنهم لم يكونوا منافقين النفاق الأكبر في الأصل ولكن مع الفتنة نافقوا وحدثوا أنفسهم أنهم لو سئلوا الشرك لقبلوا والله هو المطلع على ما في قلوبهم فإن هذا لم يقع ولكن علام الغيوب هو الذي أخبر عن نيات نفوسهم وخلجات قلوبهم واستعدادهم للبيع كما يبيع كثير من الناس اليوم دينهم بعرض من الدنيا، وهو والله عرض حقير تجد أحدهم قد بلغ الستين والسبعين وبينه وبين القبر لحظات وخطوات ويبيع دينه بدنيا ملؤها الذل والهوان والتعب

obeikandl.com

والمرض والشقاء والتعاسة: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ [الأحزاب: ١٥-١٦] .

فهل سيخلد أحد وهل تضمنون أن لا تقتلوا إذا فررتم، ولو نجوتم فكم ستتمتعون: ﴿ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب: ١٦] نعم والله ما مضى من العمر في غالب الظن أكثر مما بقي فعلام تباع الأخرة بالمتاع القليل المشوب بالكدر والألم ؟ ثم إذا نجوتم من الأعداء وكيد البشر، ورب السماء والأرض هو الذي يريد بكم السوء والضر والعذاب فماذا يغني عنكم أحد من الخلق من الله شيئًا: ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب: ١٧] وبدأ بالسوء لأنهم أهله ويستحقونه: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب: ١٧، ١٨] الله يعلم كم من المثبطين عن الالتزام بطاعة الله وطاعة رسوله - ﷺ -

القائلين لإخوانهم هلم إلينا بعيداً عن الدين تعالوا عيشوا حياتكم دعوكم من مواجهة الأحزاب والأعداء، ابتعدوا عن الخندق مع النبي – ﷺ –، السنة اليوم في مواجهة الأعداء والالتزام حول خندقها، والمعوقين هم القائلون اتركوا الالتزام وتعالوا إلى الدنيا، ﴿ **وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الأحزاب: ١٨] فهم لا يحتملون الشدائد والمحن ﴿ **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأحزاب: ١٩] ليسوا فقط بخلاء بما في أيديهم بل إذا وجدوا خيراً دينياً أو دنيوياً عند أهل الإيمان حسدوا وحقدوا وأرادوا أخذه حتى راحة البال وسكون النفس يحسدون أهل الإيمان عليها: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴾ [الأحزاب: ١٩] خوفًا ورعبًا وهلعًا: ﴿ **فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ** ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي صاحوا عليكم بألسنة الذم والعيب والنقد الشديدة الحادة التي لا تعرف مودة ولا تدرك رحمة ﴿ **أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)**

﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ [الأحزاب: ١٩-٢٠] ذهب الأحزاب وانصرفوا في أشد ليلة على المسلمين وصل عدد المسلمين مع رسول الله - ﷺ - إلى ثلاثمائة كما يذكر حذيفة - رضي الله عنه - يصلي رسول الله - ﷺ - هوياً أي جزءاً من الليل ثم يقول إنه قد حدث في القوم حدث فمن يأتيني بخبر القوم ويكون رفيقي في الجنة فما يتحرك أحد.

فيصلي - ﷺ - هوياً من الليل - هكذا يكون الامتثال لأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وكان - ﷺ - يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**» يا بَنيَّ والله إن أملي ورجائي أن يديم عليّ وعليكم نعمة الصلاة فإنها أعظم نعمة بعد الهداية للإسلام وهي عمود الإسلام وادعوه أن يمن عليَّ وعليكم بالصلاة في قبورنا حيث لا متاعب للجسد ولا حاجة إلى النوم والراحة، أكثروا يا بنيَّ من الدعاء: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، إنكم اليوم قد تجدون مشقة

في الصلاة لأنها تُؤَدَّى بغير الخشوع المطلوب، ولو تفكرتم في كل ما تقولون فيها لما وجدتم في الدنيا لذة أجمل منها.

نعود إلى قصة الأحزاب:

صلى رسول الله - ﷺ - هويًا من الليل ثم يكرر الطلب من يأتيني بخبر القوم ويكون رفيقي في الجنة فلا يتحرك أحد وفي الثالثة يقول، قم يا حذيفة ولم يكن من طاعة رسول الله بُد، فتأملوا هذه الشدة الشديدة التي تجعل أكابر الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يقومون عند هذا الترغيب، ما لم يكن أمر صريح لابد من طاعته وذلك من شدة الخوف وشدة البرد وشدة الجوع وشدة الريح وشدة الظلمة فيقوم حذيفة ويقول له رسول الله - ﷺ - لا تذعرهم علينا فينطلق فكأنما يمشي في حَمَّام وذلك عاقبة الطاعة يذهب الخوف والألم حتى يأتي معسكر المشركين فيجد أبا سفيان يُصْلي ظهره إلى نار يوقدها فَيَهُمّ حذيفة أن يرميه بسهم فيقتله، فيتذكر قول النبي - ﷺ - لا تذعرهم علينا، فلا يفعل ويسمع أبا سفيان وهو يقول الرحيل فإني مرتحل وجنود

الله تفعل بهم والريح تُكفيء قدورهم وتُطفيء نيرانهم وتقلع خيامهم والرعب في قلوبهم فيذهب الأحزاب وتنقلب الموازين في لحظة: ﴿ **وما أمرنا إلاَّ واحدةٌ كلمحٍ بالبصر** ﴾ [القمر: ٥٠] والمنافقون في ظنونهم الفاسدة: ﴿ **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم** ﴾ [الأحزاب: ٢٠] .

المؤمن الصادق يحدث نفسه أن لو كان في المعركة، كل معركة مع النبي ﷺ ومع المسلمين في كل معاركهم، ولو مع تباعد الزمان والمكان والمنافق حاضر يتمنى لو يغيب، فيؤجر هذا ويوزر هذا والأعمال بالنيات، ﴿ **ولو كانوا فيكم مَّا قاتلوا إلاَّ قليلاً (٢٠) لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لِّمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢٠، ٢١] قدوة حسنة في الثبات والسكينة، اللهم أنزل السكينة على قلوبنا وثبت قلوبنا على دينك .

﴿ **لِّمن كان يرجو الله** ﴾ [الأحزاب: ٢١] رجاء الله أعظم مطلوب للمؤمن، فنصيبه من الله من قربه ومحبته والنظر إلى وجهه يوم القيامة ورضاه الذي لا سخط بعده أبداً هو أعظم

نصيب وهو أكبر من الجنة: ﴿ **وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] وما فيه من أنواع النعيم في الجنة لكن حب الله وابتغاء مرضاته وما ذاقه المؤمن في الدنيا من نعيم القرب جعله يريد الله ويرجو لقاءه أولاً ثم اليوم الآخر وإنما يحصل هذا لمن ذكر الله كثيراً وشاهد آثار أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه: ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾ [الأحزاب: ٢٢] هو وعد لنا ليس وعيداً، البلاء وعد لنا من الله ورسوله هو بلاء من جهة وعافية من جهات ونعمة من جهات أعظمها زيادة الإيمان والإسلام: ﴿ **وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٢] يزداد الإيمان بالله بشهود أسمائه وصفاته ومحبته وقربه وآثار ربوبيته وألوهيته وذوق حلاوة ذلك، يزداد الإيمان بالكتب فيتدبر القرآن فيذوق له طعماً يكاد يطير قلبه في السماوات مع معانيه ويزداد الإيمان برسله حين يرى صفاتهم الجميلة ويعيش معهم في دعوتهم وجهادهم ومعاملتهم .

يزداد الإيمان بالملائكة حين يستشعر حبهم للمؤمن وأنهم معه هم أولياؤه في الحياة الدنيا وفي الأخرة، يصلون

عليه ويستغفرون له ويدعون له فيحبهم ويحبونه، ويزداد الإيمان باليوم الأخر حين يكون في تصديقه بالجنة والنار والحساب والقيامة كأنه يعاينها فيجد نعيمًا قبل النعيم ويستعيذ بالله من عذاب الجحيم، يزداد يقينًا بالقدر فيشهد علم الله وكتابته ومشيئته وقدرته وخلقه لأفعال عباده [١] .

ويزداد الإسلام بازدياد الصلاة والصيام والتلاوة والدعاء وسائر العبادات الظاهرة والباطنة فهل علمتم كيف أن البلاء وعد لنا لا وعيد ونعمة عظيمة تغمر ألم الخوف أو الفراق أو الجراح أو حتى الموت، ثم كانت النهاية وستكون في كل معركة ولو بعد حين انتصار المسلمين وهزيمة الكفار ورحيلهم وهزيمة يهود بني قريظة وقتل رجالهم وسبي نسائهم وصبيانهم وذراريهم فالحمد لله ثم التوسل إلى الله بسريع الحساب، ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج: ٤٧] فلا تستعجلوا .

---

(١) راجع شريط الإيمان بالقدر وأثره في قلب المؤمن للمؤلف لعلَّه يحيي هذه المعاني.